حوار بين حمارين

تأليف

محمد بدوى المسعودى

رقم الإيداع ١٧٤٣٣/٢٠٠٦

المسعودى، محمد بدوى.

حوار بين حمارين

تأليف محمد بدوى المسعودى - ط ٠٢ - القاهرة :

دار الروضة ، ٢٠٠٦.

٨ ص ، ٢٥سم.

١- قصص الأطفال

٢- القصص العربية

أ- العنوان

٨١٣,٠٢

دار الروضة



جمعت الصداقة الحميمة بين كل من الحمار الأبيض والحمار الأسود، وذلك لتواجدهما في سوق الخضار صباح كل يوم، حيث يقفان متجاوران لحين تحميل صاحبيهما للعربات التي يجرونها ببضاعة التجار اللذين يحضرون كل يوم للتسوق من السوق.

... وكان الحماران الصديقان يتبادلان الحديث في كل الأمور التي تهمهم وعن حياتهم وآلامهم.

سأل الحمار الأسود صديقه الحمار الأبيض قائلا:

ما حال صاحبك معك يا صديقي العزيز؟

فأجابه الحمار الأبيض قائلا:

إن صاحبه رجل طيب القلب.. يراعي الله في كل تصرفاته.. يحوطني بكل رعاية وحنان.. ولا يحملني ولا يحمل العربة التي أجرها بأحمال لا قبل لي

بجرها .. بل يعرف جيدا مقدار الأحمال التي استطيع أن أجرها دون أن تسبب لي مشقة أو تعب.. بل إن صاحبي بينما نحن نكون سائرين في الطريق قاصدين محلات التجار لتفريغ بضائعهم فإن صاحبي لو لاحظ أنني قد أصابني التعب فإنه يوقفني على جانب الطريق تحت ظل شجرة من الأشجار ثم يقوم بإطعامي بيده ببعض الخضرة أو البرسيم.. الذي يدخره لي كل يوم أسفل باطن العربة.. ثم يقوم بالمسح بيده على رقبتي في رفق وحنان.. مما يرفع من روحي المعنوية وأشعر بأنني في أحسن حال فاستأنف السير وكأنني لا أجر أي أحمال.. وعندما نصل إلى محلات التجار وينزل كل تاجر بضاعته من فوق العربة.. يعود بي صاحبي بعد ذلك مباشرة إلى الدار قبل غروب شمس النهار..

وبمجرد أن نصل إلى الدار.. يقوم صاحبي بفك جرار العربة والحزام عن جسدي.. ثم يأتي بإناء فيه ماء فاتر وبعض الصابون.. يقوم بعمل حمام لي يزيل ما علق بجسدي من عرق وتراب الطريق ثم بعد ذلك يقوم صاحبي بكنس حظيرتي ثم يفرشها ببعض نشارة الخشب ثم يقدم لي العليق المكون من التبن الناعم والكسب وكذلك قدح أو يزيد من الفول ثم يربت بيده على ظهري في حنان.. ثم يتوجه صاحبي ليأخذ حمام وبعد ذلك أراه في صحن الدار ساجدا لله وكنت أسمعه يدعو الله قائلا: اللهم ارزني برزق أولادي فأردد وراءه الدعوات في قرارة نفسي!!

ثم نظر الحمار الأبيض لصاحبه الحمار الأسود قائلا:

هذا هو حال صاحبي يا صديقي العزيز.. فكيف حال صاحبك أنت؟

فنظر الحمار الأسود إلى صديقه الحمار الأبيض وعيناه قد اغرورقت بالدموع قائلا:

يا صديقي العزيز.. إن حال صاحبي معي لا يسر عدو ولا حبيب.. ولسوف أحكي لك غدا إن شاء الله.. حيث جاء موعد تحركنا بالأحمال.. فإلى



اللقاء.

قل الحمار الأسود لصديقه الحمار الأبيض:

حال صاحبي معي يا صديقي العزيز.. إنه رجل سكير ملعون.. قلبه لا يعرف رحمة ولا شفقة.. كل ما يهمه هو جمع المال على حساب آلام جسدي الضعيف الهزيل.. لذلك يقوم صاحبي بتحميل العربة التي أجرها بأحمال ثقيلة لا قبل لي بجرها.. فأظل أنوء بجرها طوال الطريق وأحاول وأثابر.. حتى أشعر وكأن أقدامي تكاد تنفصل عن جسدي.. وكلما حاولت الوقوف ثانية واحدة لالتقاء أنفاسي.. أجد صاحبي الملعون يهوي بالكرباج بكل قوته على جسدي وهو ينعتني بألعن الألقاب.. فأتحامل على نفسي.. والكرباج المطاط ينهال على كل مكان من جسدي.. حتى نصل إلى محلات التجار. فيأخذون بضائعهم.. فيعود بي صاحبي الجبار إلى ميدان الشارع.. ويوقفني مرة أخرى أملا أن يجد أي زبون معه أحمال لأنقلها مرة أخرى إلى أي مكان.. وعندما يدخل

علينا الليل يأخذني صاحبي القاسي القلب إلى الدار.. ويلقي بي في الحظيرة دون أن ينظف ما بـــها من أوحـــال.. فأنام طول الليل وأنا عرضة للناموس والجرذان.. حـتى عندما أطلب شـرب الماء لم يأتي لي بـإناء بـه ماء نظيف عذب.. بل يأخذني لأشرب من الترعة المجاورة ذات المياه الراكدة والملوثة حتى إنني أشعر الآن بـأن أمعائي أصبحـت مرتعا لديدان البهارسيا والاسـكارس.. وعندما يعود بي للحظيرة يضع أمامي القـليل من التبن والقش ويقـول لي هذا غذائك أيها الحمار الماكر.. ثم يتركني ويخرج خارج الدار ثم يعود بـــعد منتصف الليل.. وهو سكران وبـيده زجاجه من المنكر.. يتجرعها في الحال ثم أسمعه يهذي ببـــعض الكلمات غير المفهومة ثم أراه يسقـــط على الأرض وهو لا يشعر بشئ ثم يغط في نوم عميق!!

هذه يا صديقي الحمار الأبـيض حـكايتي بـالتمام والكمال وليست فيها زيادة ولا نقصان.

فنظر الحمار الأبيض إلى صاحبه الحمار الأسود في شفقة قائلا:

إن حـكايتك يا صديقي المسـكين غاية في الألم والتعاسـة وإنني الآن حزين من أجلك.. فاطلب الصبر يا صديقي من الله على ما ابتلاك.. وعسـى الله أن يرحمك من هذا الصاحب اللعين.

استمر الحال بالنسبة للحمار الأسود المسكين من سئ إلى أسـوأ.. وكان كل يوم يمر تزداد آلامه وعذابه.. وكذلك قسوة صاحبه.

حتى جاء أحد الأيام وقد تم تحميل عربة الحمار الأسود ببضائع التجار من سوق الخضار.. وقد قام صاحبه بتحميل العربة بحمولات ثقيلة ما يستطيع جره هذا الحمار الهزيل.. وظل الحمار الأسود المسكين يسير في الشوارع يتخبط بازلا أقصى ما عنده من قوة حتى يستطيع السير بهذه الأحمال التي لا قبـل له بجرها.. وزكان صاحبـه العربجي يشيعه بالكربـاج المطاط اللاذع كلما حـاول



الحمار الوقوف لحظة واحدة لالتقاط أنفاسه من شدة التعب.. وظل الحمار المسكين يتلو من ضربات الكرباج المتلاحقة على جسده الهزيل.. حتى وصل الحمار إلى مطلع أحد الكباري.. وحاول الحمار المسكين أن يجتاز الكوبري بالحمولة ولكن قدماه لم تسعفاه.. وكلما حاول التقدم إلى الأمام يجد أن العربة تشده إلى الخلف لثقل أحمالها.. فأخذ صاحبه العربجي يضربه بكل قوته بالكرباج دون هوادة في كل مكان من جسده الضعيف.. وأخذ الحمار يضرب بحوافره على أسفلت الكوبري.. بكل ما أوتي من قوة.. لعله يتقدم إلى الأمام ولو خطوات ولكن كل محاولات الحمار المسكين باءت بالفشل.. وجن جنون صاحبه العربجي وظل يضرب فيه بالكرباج بكل ضراوة وقوة.. دون رحمة ولا شفقة فجثى الحمار المسكين على ركبتيه الأماميتين على الأرض.. وشعر بأن مفاصل ركبتيه قد خلعت من بعضها .. وحاول المسكين أن يقف مرة أخرى والدماء تسيل من جسده من أثر ضربات الكرباج اللاذع.. والعرق الغزير

يتصبب منه من شدة الإرهاق والآلام والدموع الساخنة تنسال من عينيه.. وأخذ الحمار المسكين ينظر يمينا ويسارا جهة المارة من الناس واللذين تجمعوا من حوله في هذه اللحظات.. عسى أن يجد في الناس من يرحمه.. أو يقول لصاحبه العربجي كفاك ضربا في الحمار المسكين.. ولكن العربجي مهما قيل له.. فقد صم أذناه ولم يعطي لأي أحد انتباه.. وظل يضرب في الحمار في هيستريا وعصبية والحمار المسكين يقفز جهة اليمين وجهة اليسار دون أن يجد له مفر حتى شعر المسكين بأن قلبه قد خلع من صدره من شدة الضرب.. وفي لحظات احمرت عينا الحمار وتطاير منهم الشرر مثل الجمر الحارق.

وفي ثوان معدوات هجم على صاحبه القاسي وأخذ ذراعه بين فكيه بكل ما أوتي من قوة وأخذ يطيح بالعربجي في الهواء في كل اتجاه.. وسط ذهول المارة من الناس واللذين تجمعوا ليروا هذا المنظر الفريد من نوعه.. غير مصدقين لما يشاهدوه أمامهم.. وظل الحمار قابضا على ذراع صاحبه العربجي بأسنانه وهو يطيح به في الهواء.. ولم يتركه إلا بعد أن انفصل ذراعه من جسده حتى الأكتاف.. وسقط جسد العربجي على الأرض دون حراك!!

أخذ جمع الناس يضربون على الأكفاف.. لما شاهدوه يحدث من الحمار فقال قائل منهم:

ويل لهذا الحمار المكار.. لقد قتل صاحبه في الحال!!

وقال البعض الآخر:

إن هذا العربجي رجل قاس وغبي.. كيف لمثل هذا الحمار الضعيف الهزيل أن يجر مثل هذه الأحمال الثقيلة التي تتكدس فوق العربة.. إننا واقفون منذ البداية.. والحمار المسكين حاول بما فيه الكفاية أن يجر العربة ولكنه لم يستطع لضعفه وهزاله ولكن العربجي الجبار ظل يضرب فيه بالكرباج بكل قسوة دون رحمة ولا شفقة. وهو يعلم جيدا بأن مثل هذه الأحمال



لا يستطيع جرها هذا الحمار الهزيل.

سمع الحمار البائس حوار من حوله من الناس وظل ينصت إلى كل رأي يقال.. وهو يتعجب على كل ما يثار حوله من آراء فنظر إلى كل الناس قائلا في نفسه:

أيها البني آدميين.. أنسيتم أنني مخلوق من دم ولحم مثلكم.. أشعر بالألم كما تشعرون.. يصيبني المرض كما تمرضون.. أشعر بالفرح كما تشعرون.. لي طاقة لا أستطيع تحمل أكثر منها.. كما لكل منكم طاقته!!

ثم استطرد الحمار الأسود قائلا:

أيها الناس.. أيها البني آدميين.. إذا أردتم أن تحكموا في هذا الأمر فاحكموا بالعدل والقسطاط.. أما من جهتي أنا فإنني أشعر ولأول مرة في حياتي بالخلاص.. وأن الهم والكبت الذي كان على صدري قد انزاح.. لذا الآن لا يهمني أن تحكموا لصالحي أو تحكموا بقتلي.. رميا بالرصاص.